مايكل أنجلو

يعد سقف كنيسة سيستين فى روما أحد عجائب الفن العديدة ، حيث تبلغ مساحته الكاملة عشرة آلاف قدم مربعة كلها مغطاة باللوحات الزيتية المذهشة ، ويحتوى السقف على (٣٤٣ صورة) لوجوه بشرية أغلبها ثلاثة أو أربعة أمثال الحجم الطبيعى ، قام بعملها فنان كان يقول أنه مثالاً وليس برسام ، إنه الفنان العظيم " مايكل أنجلو " ... ومن الغريب أنه رفض فى البداية طلب البابا بأن يرسم سقف الكنيسة لأنه لم يكن يود قضاء وقته فى الرسم ، لكن البابا أصر ووافق مايكل فى النهاية ، واستغرق العمل أربع سنوات ونصف ، وكان فى أثناءها يضطر إما إلى الاستلقاء على ظهره على " سقالة " أو الجلوس مطرحاً رأسه إلى الخلف ، وفى الصيف كان الهواء قرب السقف شديد الحرارة وفى الشتاء كان قارس البرودة ، لكنه استمر فى عمله الساعة تلو الساعة ، وعندما طلب منه البابا سرعة إنجاز العمل ، نقل سريره إلى الكنيسة وأقام هناك ليتم واحداً من أعظم الأعمال فى التاريخ الفنى.

ولد مايكل أنجلو (١٤٧٥ م – ١٥٦٤ م) بالقرب من مدينة "كابريزى" فى إيطاليا وكان والده يفخر بانتمائه إلى واحدة من أعرق أسر فلورنسا ، وقد أرسل مايكل الصغير إلى المدرسة لكى ينجح فى دراسته ويرفع من شأن

الأسرة، إلا أن الصبى لم يظهر ميلاً إلا للنحت ، ولعلمه بأنه لن يفلح مثالاً ما لم يدرس الرسم فقد قصد وهو فى الثالثة عشرة من عمره مرسم الفنان "جيرلاتداجو" أشهر رسامى فلورنسا وتتلمذ عليه ، وكانت عادة طلبة الفنون فى تلك الأيام أن يبدأوا بنقل لوحات الفنانين المرموقين ، فأرسل مايكل أنجلو مع زملائه لنقل اللوحات المرسومة فى إحدى الكنائس ، وهناك سخر من عمل أحد زملائه فما كان من هذا الزميل وهو فى ثورة غضبه إلا أنه هشم أنف مايكل أنجلو ليبقى معوجاً طول حياته .

وفى فلورنسا حالف الحظ السعيد مايكل أنجلو ، إذ كان حاكمها لورنزو العظيم من محبى الفنون ، وقد سمح لاثنين من طلبة الفنون الموهوبين بارتياد حدائقه ، وكان مايكل أنجلو أحدهما فاستطاع أن يدرس عن كثب كل التحف الفنية المنحوتة فى الحدائق فضلاً عن إقامته فى القصر لمدة سنتين .

أخطأ مايكل أنجلو عندما قال أنه ليس رساماً ولكنه كان على صواب عندما قال أنه مثال ، فلم ير التاريخ من هو أعظم منه ، كان مقاولاً ومهندساً فى الوقت نفسه ، وفى وقت ما كان المهندس الأول فى مدينة فلورنسا .

ومن أشهر أعماله فى النحت تمثال " داود " ... ولهذا التمثال قصة ... فقد بقيت كتله ضخمة من الرخام قائمة فى مدينة فلورنسا لمدة قرن ، ولم يعرها أحد الفنانين أى اهتمام ، إلى أن تصورها مايكل أنجلو فى هيئة عملاق ضخم يملأ الكتلة كلها ، ومنها نحت تمثاله الشهير ، ولكى يثبت أنه استعملها بأكملها ترك قطعة صغيرة من الحجر الخام فوق رأس التمثال.

الرحلة التى أثبتت أن الأرض ... كروية

فى عام ١٥١٩ م ... أبحر فرديناند ماجلان من أسبانيا على رأس قافلة بحرية مكونة من خمس سفن ، وكان يدفعه الأمل فى أن يصل إلى جزر الهند الشرقية عن طريق الإبحار غرباً.

وصادفت الرحلة الصعوبات منذ بدايتها ، فقد ظلت الأمطار تهطل دون انقطاع طوال ستين يوماً ، واضطرت السفن إلى أن تبحر جنوباً بمحاذاة ساحل إفريقيا الشمالى الغربى ، ثم عبر المحيط الأطلسى ، وعندما وصلت القافلة إلى ساحل أمريكا الجنوبية دارت معه جنوباً ، وفى هذا الجزء من الرحلة فقد ماجلان إحدى سفنه الخمس.

وأخيراً وصلت السفن إلى شريط ضيق من الماء يمر بين جبال مرتفعة وكان هذا الشريط هو ما نسميه الآن بمضيق ماجلان ، وكانت مياه المضيق مضطربة فى ذلك الوقت نتيجة لهبوب عواصف هوجاء ، واضطرت إحدى السفن تحت وطأة العواصف إلى أن تعود دون أن تعبر المضيق بينما واصلت السفن الثلاث الباقية عبور المضيق حتى خرجت إلى المحيط الهادى .

وكانت سفن ماجلان – بالطبع – سفناً شراعية لابد من الرياح لتسييرها، ومع ذلك فقد مرت بالسفن وهى فى المحيط الهادى أربعة أيام كاملة كانت ساكنة

فيها سكوناً تاماً حتى أوشكت المؤونة ومياه الشرب أن تنفذ لـولا أن وصـلت السفن فى آخر الأمر إلى جزر الفلبين وهناك قتل ماجلان فى عراك نشب مـع أهالى الجزر ، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت سفينتان من مواصلة الرحلة مع أن إحداهما تعطلت فيما بعد وأصبحت لا تصلح للملاحة .

واستطاعت السفينة الخامسة والأخيرة (فيكتوريا) أن تحمل معها شحنة من التوابل حتى جزر الهند الشرقية ، ثم أبحرت عائدة إلى أسبانيا التى وصلت إلى موانيها بعد نحو ثلاثة أعوام ... وعندما ألقت فيكتوريا مراسيها لـم يكـن عليها سوى (ثمانية عشر رجلاً) هم كل من بقى على قيد الحياة من(٢٨٠) رجلاً بدأوا الرحلة ، وبذلك كانت فيكتوريا أول سفينة دارت حـول العـالم ... وقـد برهنت رحلة ماجلان وأتباعه بصورة عملية على أن الأرض كروية ، وأكـدت أن حجم الكرة الأرضية أكبر بكثير مما تصور الناس ، كما لفتت أنظار الأسبان إلى قارة واسعة بإمكانهم استعمارها وهى قارة أمريكا الجنوبية.

ومما يذكر عن ماجلان أنه كان برتغالياً ، والعجيب أنه نشأ فى الإقلـيم الوحيد بالبرتغال الذى لا يطل على البحر ، وعندما كان صبياً عمل حاجباً فـى المحكمة الملكية فى لشبونه ، وهناك سمع روايات غريبة عن أحداث مثيرة تقع فى أجزاء أخرى من العالم ، كما علم أن فاسكو دى جاما قد أبحر حول إفريقيا فى طريقه إلى الهند ، وأن كولمبس اكتشف أمريكا ، وعندئذ فكر ماجلان محدثاً نفسه ... لماذا لا يكون هو الآخر أحد هؤلاء المكتشفين ؟

ولما أصبح فى سن الشباب أبحر إلى جزر الهند الشرقية عـن طريـق الشرق ، وعندما عاد إلى البرتغال كانت الأفكار قد ملأت عليه رأسه لكى يصل إلى جزر الهند الشرقية عن طريق الإبحار غرباً ، ولكن العمر لم يمهله ليتأكـد بنفسه أن هذا من الممكن فعلاً.

وليم شكسبير

وليم شكسبير (١٥٦٤ – ١٦١٦ م) كاتب مسرحى وشاعر إنجليـزى من أعظم الكتاب العالميين ، ليس لمكانته المسرحية فى عصره أو غزارة إنتاجه المسرحى والشعرى فحسب ، بل لاستمرار شهرته عبر قرون ، ولاهتمام النقاد والمخرجين المسرحيين والسينمائيين من كل المذاهب الأدبية والفنية بإنتاجه عبر العصور ، فقد عرضت مسرحياته ، ولا تزال تعرض فى كل أرجاء العـالم ، وترجمت إلى أكثر من سبعين لغة .

ولد شكسبير فى مدينة ستراتفورد وكان والده صانع قفـازات وتـاجراً صغيراً ومالك عقارات ، تلقى تعليمه فى المدرسة الثانوية فى مسقط رأسه لكنه لم يتلق تعليماً جامعياً ، تزوج آن هاثاوى وهو فى الثامنة عشرة ، وكانت تكبره بثمانية أعوام ، ورزق منها بثلاثة أطفال .

بدأ إنتاجه الشعرى والمسرحى يتوالى فنشر عام ١٥٩٣ قصيدة " فينوس وأدونيس " ، وبعد عام نشر قصيدة " اغتصاب لوكريس " ، وتبلورت شـهرته شاعراً غنائياً مع نشر " السونيتات " عام ١٦٠٩ التى بلغ عددها ١٥٤ ، وكان قد كتبها بين عامى ١٥٩٣ – ١٥٩٨ وتداولها القراء فى مخطوطات لسـنوات

قبل نشرها ، إلا أن شهرته العالمية ترتكز على نصوصه المسرحية الثمانية والثلاثين .

عمل شكسبير مع " فرقة اللورد حاجب الملك " ممثلاً وشريكاً وكاتباً ، وفى عام ١٥٩٩م بنت الفرقة مسرحها الخاص ، وبقى مع الفرقة طوال حياته المهنية ، كما شكلت مسرحياته الجزء الأكبر من مخزونها المسرحى ، فتحولت إلى أهم فرقة مسرحية آنذاك .

وعندما تبوأ الملك جيمس الأول عرش إنجلترا عام ١٦٠٣م أصبح اسم الفرقة " رجال الملك " واستقرت فى مسرح " بلاك فرايرز " منذ شتاء عام ١٦٠٨م ولعل شكسبير هو الكاتب الوحيد فى عصره الذى بقى يعمل طوال حياته مع فرقة مسرحية واحدة.

يمكن تقسيم نتاج شكسبير المسرحى إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى المأساة والملهاة والمسرحيات التاريخية ، كما كتب عدداً من المسرحيات التى يصعب إدراجها ضمن هذه التصنيفات المألوفة ، ومن الممكن تقسيم إنتاجه إلى أربع مراحل ، مع أن تاريخ كتابته للمسرحيات غير معروف بصورة مؤكدة ، تمتد المرحلة الأولى من بداياته وحتى عام ١٥٩٤ ، والثانية من ١٥٩٤ – ١٦٠٠ ، والثالثة من ١٦٠٠ – ١٦٠٨ ، والأخيرة من ١٦٠٨ – ١٦١٢ ، وهذه التقسيمات تقريبية وضعها مؤرخو ونقاد المسرح لمتابعة حياته الأدبية ضمن إطار واضح ، تقع المرحلتان الأولى والثانية ضمن مرحلة المسرح الاليزابيثى نسبة إلى الملكة اليزابيث الأولى ، أما المرحلتان الثالثة والرابعة فتقعان ضمن مرحلة المسرح اليعقوبى نسبة إلى الملك جيمس (يعقوب) الأول الذى تولى العرش فى ١٦٠٣ وتوفى فى ١٦٢٥.

فى المرحلة الأولى كان شكسبير كاتباً مبتدئاً بالمقارنة مع معاصريه ولم

تتسم أعماله فى هذه المرحلة بالنضج الأدبى والفنى ، بل جاءت بنية نصوصه سطحيه وغير متقنة ، وتركيباته الشعرية متكلفة وخطابية ، وانتشرت فى هذه الفترة المسرحيات التاريخية نتيجة الاهتمام الكبير بتاريخ إنجلترا ، خاصة بعد هزيمة أسطول الأرمادا الاسبانى عام ١٥٨٨ ولرغبة الجمهور بتمجيد البطولات والتعلم من عبر التاريخ . كتب شكسبير فى هذه المرحلة مسرحيات عدة تصور الحقبة ما بين ١٢٠٠ و ١٥٥٠ من تاريخ إنجلترا ، وتحديداً الحرب الأهلية التى دارت رحاها بين عائلتى لانكستر ويورك ، مثل ثلاثيته " الملك هنرى السادس " و " الملك ريتشارد الثالث " التى صور فيها النتائج السلبية لحكم ملك ضعيف ، وتغطى هذه المسرحيات الأربع المرحلة الممتدة منذ حكم هنرى السادس وحتى هنرى السابع وبدء حكم سلالة تيودور التى تنتمى الملكة اليزابيث إليها.

كما كتب أيضاً عدداً من النصوص مثل " كوميديا الأخطاء " و " ترويض الشرسة " و " وسيدان من فيرونا " و " خاب سعى العشاق " .

وفى المرحلة الثانية كتب شكسبير أهم مسرحياته التاريخية فى هذه المرحلة ، مثل " الملك ريتشارد الثانى " و " الملك جون " و " الملك هنرى الرابع " فى جزئين و " الملك هنرى الخامس " ، كما كتب نصوصه الكوميدية الأكثر مرحاً وتميزاً ، مثل ملهاة " حلم ليلة منتصف الصيف " و " الليلة الثانية عشرة " و "جعجعة بلا طحن" و " على هواك " إضافة إلى " روميو وجوليت " و" يوليوس قيصر " و " تاجر البندقية " و " زوجات وندسور المرحات " ، ويظهر فى هذه المرحلة تطور ملحوظ فى أسلوبه الذى صار يميل إلى الخصوصية والتميز .

وتميزت المرحلة الثالثة بأفضل ما كتب شكسبير ، ولذا سماها بعض النقاد مرحلة النضج الأدبى ، إذ كتب أعظم نصوصه التراجيدية وتلك التى تقترب من الكوميديا السوداء ، وتظهر مأسى هذه المرحلة عمق الرؤية عند

شكسبير وبراعة الحبكة الدرامية ، فقد وظف فى هذه المسرحيات أدواته الشعرية بما يناسب النص والعرض المسرحيين فوصل إلى حد الإتقان فى الدمج بين العواطف البشرية والفكر الإنسانى مع الشعر والمواقف المؤثرة .

كتب شكسبير فى هذه المرحلة مأساة " هاملت " التى تعد أشهر مسرحياته عالمياً ، وصور فيها الوضع الإنسانى من عظمة وجبروت وضعف فى ذات الوقت ، أما فى مأساة " عطيل " فقد قدم شكسبير تحليلاً عميقاً لآلية الإيقاع بقائد عظيم اسود البشرة ضحية الغيرة على زوجته البيضاء المخلصة ديدمونة من خلال مخطط خبيث يستغل اختلاف موضوع الحب والغيرة والشرف فى الثقافة الشرقية عنه فى الثقافة الغربية .

يعتبر بعض النقاد أن " الملك لير " مسرحية شكسبير الأهم لكونها تتميز بأبعاد ملحمية لقصة صراع عائلى بين الأباء والأبناء . أما فى مسرحية "أنطونيو وكليوباترا " فيتناول شكسبير موضوع الحب المحرم سياسياً وأخلاقياً بين القائد الرومانى وملكة البطالمة كليوباترا والذى سبب الدمار له ولاسمه فى روما ، وفى مسرحية " ماكبث " يقدم شكسبير تحليلاً لرجل يستسلم لطموحه الجامح لضعف فى شخصيته فيفقد إنسانيته ويصبح قادراً على أى جريمة .

وفى المرحلة الرابعة كتب شكسبير أهم نصوصه الرومانسية ، وبدا فى أواخر حياته وكأنه يقدم رؤى جديدة متفائلة باستخدامه أدوات ومفاهيم عدة من الفن والعاطفة وعالم الجن والسحر والخيال ، إضافة إلى استخدامه الشعر الغنائى أكثر من أى وقت مضى ، كما فى مسرحية " بريكلس " و "سيمبلين" و"حكاية الشتاء " ، ولعل " العاصفة " أفضل ما ما كتب شكسبير فى هذه المرحلة وقدم من خلالها مفهومه للحياة الذى يجمع بين القوة والحكمة وتضمنت بعض أفضل شعره .

شعوب الثلج

ظل الإسكيمو مجهولين فى العالم ... حتى كان أحد أيام القرن السادس عشر حيث كان ملاح إنجليزى يدعى " مارتن فروبيشر " يبحث عن طريق قطبى إلى الصين ، فنزل فى جزيرة جرينلاند ، ثم خرج أفراد طاقمه لصيد ما ظنوه فى بداية الأمر نوعاً غريباً من عجول البحر ، وكانت المفاجأة أن ما رأوه ما كان إلا الإسكيمو ... الأمر الذى أدى إلى الحديث عنهم فترة من الوقت ثم عادوا بعد ذلك إلى النسيان حتى القرن ١٨ عندما بدأت الأبحاث المتصلة بهم وبطرق معيشتهم .

تشمل بلاد الإسكيمو الطرف الشمالى الشرقى لسيبريا ، وجزر بحر بيرنج ، وجزءاً رئيسياً من المناطق الساحلية من ألاسكا ، كما تشمل أيضاً الساحل الشمالى لكندا وكثيراً من الجزر الشمالية الكندية ، ومعظم الساحل الغربى وجزءاً من الساحل الشرقى لجرينلاند .

أخذ لقب الإسكيمو من كلمة هندية أمريكية تعنى آكلى اللحم النىء أو الناطقين بلغة غريبة ، ويطلق الإسكيمو على أنفسهم عدة أسماء مثل إنويت فى كندا ، واينوبيات ويوبيك فى ألاسكا ، ويووبت فى كل من سيبريا وجزيرة سانت لورنس ، وهم يفضلون أياً منها على كلمة إسكيمو التى يعتبرونها مهينة ، إلا أنهم على أية حال ، اشتهروا بالإسكيمو .

وقد نشأ أسلاف الإسكيمو فى شمال شرق آسيا ، ويرى معظم العلماء أن الإسكيمو جاءوا إلى ما يعرف اليوم بألاسكا عبر ممر أرضى كان يربط بين آسيا والمنطقة الشمالية من أمريكا منذ ما يقرب من ١٠,٠٠٠ عام تقريباً ، ثم اتجه الإسكيمو من ألاسكا ناحية الشرق ، حيث توجد المنطقة القطبية لقارة أمريكا الشمالية .

ويرى الخبراء أن الإسكيمو انتشروا من ألاسكا إلى ما يعرف اليوم بجرينلاند فى حركتين كبيرتين ، بدأت الأولى منذ ما يقرب من ٥,٠٠٠ سنة ، ومن الجائز أن تكون الثانية قد بدأت منذ أقل من ١,٢٠٠ سنة تقريباً .

ولا يعرف العلماء بدقة المدة التى استغرقتها كل من الحركتين ، ولكن فى الوقت الذى بدأت فيه الحركة الثانية ، كانت سلالة الإسكيمو التى قامت بحركة الهجرة الأولى قد انقرضت ، ويعد هؤلاء الذين قاموا بالهجرة الثانية أسلاف الإسكيمو الذين يعيشون اليوم فى كل من جرينلاند وكندا وشمال شرق ألاسكا .

اتبع الإسكيمو عبر آلاف السنين أسلوباً تقليدياً فى الحياة منسجماً مع بيئتهم ، فمن المعروف أن الغالبية العظمى من الإسكيمو تعيش بالقرب من البحر، وقد وفر لهم ذلك أغلب طعامهم حيث اصطاد الإسكيمو الفقمات ، وفيلة البحر ، والدببة القطبية ، والحيتان ، وكذلك الأسماك ، كما اصطادوا أيضاً نوعاً من الوعول يسمى الكاريبو ، وقد استخدم الإسكيمو جلود هذه الحيوانات فى صنع الملابس ، وفى فصل الصيف اعتاد الإسكيمو العيش فى خيام مصنوعة من جلد الحيوان ، كما كانوا يبحرون فى المياه القطبية فى قوارب مصنوعة منه . أما فى فصل الشتاء فكانوا يعيشون فى بيوت من الجليد ، وينتقلون على الأرض المغطاة بالثلوج بواسطة الزلاجات التى تجرها الكلاب ، وكانت رحلات الإسكيمو الكبيرة كلها بحثاً عن الطعام ، وقد كيف الإسكيمو حياتهم لتتلاءم مع

فصول السنة وقرنوا أنفسهم بالتغيرات الموسمية تماماً كما تفعل الحيوانات .

وبدأت حياة الإسكيمو فى التغير فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى بعد توافد أعداد كبيرة من صائدى الحيتان وتجار الفراء إلى أقصى الشمال ، حيث إنضم الإسكيمو إليهم فى مهنة الصيد إلى أن تدهورت الصناعة التى قامت على صيد هذه الحيتان ، وحينئذ تحول الإسكيمو إلى صيد الحيوانات ذات الفراء وباع التجار للإسكيمو البنادق وبضائع أخرى مفيدة فى مقابل الفراء وما كانوا يؤدونه لهم من خدمات ، ولوشكت أنواع كثيرة من هذه الحيوانات على الانقراض كلية رغم حاجة الإسكيمو الشديدة إليها ، ويرجع هذا إلى الصيد الجائر للحيوانات والحيتان ، وباستعمال هذه الوسائل الحديثة تغيرت طريقة الحياة التقليدية للإسكيمو ، ولكن الأوربيين جلبوا معهم أيضاً أمراضاً لم يستطع الإسكيمو مقاومتها فتوفى منهم أعداد كبيرة.

ويبلغ عدد الإسكيمو ما يقرب من ١٢٠,٠٠٠ شخص يعيشون فى كل من روسيا وألاسكا وكندا وجرينلاند ، ويعيش معظمهم فى مدن أو مستعمرات صغيرة ، ويلبسون ملابس حديثة ويقطنون منازل حديثة أيضاً ، ويأكلون أطعمة مما يباع فى الأسواق ، ويعمل الكثير منهم فى أعمال نظير أجر ، ولكن الغالبية العظمى من الإسكيمو فى ألاسكا وكندا بخاصة لا يستطيعون العثور على وظائف ويحتاجون إلى مساعدة من الحكومة ليتمكنوا من العيش .

وعلى النقيض من جماعات الهنود الأمريكيين ، لم يكن لدى الإسكيمو قبائل أو زعماء ، ولكنهم شكلوا فى بعض المناطق المختلفة جماعات ثقافية منفصلة ، وتحكم الإسكيمو فى كل جماعة ثقافية تقاليد خاصة وهم يتبعون اسلوباً فى الحياة يختلف اختلافاً طفيفاً عن أى جماعة أخرى ، ويعيش معظم الإسكيمو حياتهم كلها فى محيط جماعتهم الثقافية الخاصة.

طومان باى
فارس المائة يوم

تبدأ حكاية طومان باى الذى حكم مصر لمدة مائة يوم ، بعد مقتل عمه السلطان الغورى فى موقعة (مرج دابق) أمام العثمانيين والتى اختفت فيها جثته ولم يعثر لها على أثر ! ... ولولا خيانة أمراء المماليك لسلطانهم وقائدهم الغورى ، لاستطاع أن يهزم العثمانيين الزاحفين إلى مصر ، وأن يصدهم عن التقدم نحوها ... لكن الموقعة انتهت بهزيمة الغورى ، وأخذت فلول جيشه تعود إلى مصر ، وأخذ جيش الغزاة العثمانيين يواصل زحفه إلى مصر بقيادة السلطان سليم الأول ، وساور الناس فى مصر القلق ، وأصبحوا فى حيرة من المستقبل ، وأثار بعض المماليك فتنة ... وتم نهب خان الخليلى ، وقتل من فيه من التجار الأروام بحجة انتمائهم إلى العثمانيين ، وكان الغورى قد عين ابن أخيه (طومان باى) نائباً له قبل خروجه لقتال العثمانيين ، وبعد قتله ، أجمع أمراء القاهرة على اختيار الأمير طومان باى سلطاناً للبلاد ... لكنه امتنع لحرج الموقف وقلة المال وضعف وسائل الدفاع وتفرق قلوب الأمراء والجند ، ثم عاد ووافق بعد إلحاح ، وبعد أن اقسم أمراء المماليك أمامه على المصحف على عدم خيانة سلطانهم الجديد .

وأخذ يعد العدة لمواجهة الغزاة ... ولم يعتمد طومان باى على المماليك

وحدهم ، وإنما حرص على أن يشترك أبناء القاهرة فى الدفاع عن وطنهم ، وكان معسكر تجمع القوات المصرية عند منطقة (الريدانية) وهى حى العباسية الآن .

وكان من رأى طومان باى أن يخرج بقواته لقتال العدو قبل أن يصل إلى القاهرة ، ولكن الأمراء لم يطيعوا وفضلوا الانتظار حتى يقتحم عليهم العدو ديارهم ، ويشير ابن إياس أن طومان باى كان يرتدى رداء الحرب ويحمل الحجارة مع البنائين والتراب مع العمال أثناء حفر الخنادق ، ويصف ما جرى يوم معركة الريدانية فيقول : (وصلت طلائع عسكر ابن عثمان عند بركة الحاج بضواحى القاهرة ، فاضطربت أحوال العسكر المصرية ، وأغلق باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب البحر ... وأغلقت الأسواق ، وزعق النفير ، وصار السلطان طومان باى راكباً بنفسه وهو يرتب الأمراء على قدر منازلهم ، ونادى للعسكر بالخروج للقتال ، وأقبل جند ابن عثمان كالجراد المنتشر ، فتلاقى الجيشان فى أوائل الريدانية ، فكان بين الفريقين معركة مهولة وقتل من العثمانية ما لا يحصى عددهم ثم دبت الحياة فى العثمانية فقتلوا من عسكر مصر ما لا يحصى عددهم وكان ذلك بإرشاد بعض الأمراء الخونة .

لكن السلطان طومان باى ثبت وهو يقاتل بنفسه فى نفر قليل من الرماة والمماليك السلحدارية ، ثم تكاثرت عليه العثمانية ورأى العسكر قد قل من حوله، فخاف أن يقبضوا عليه ، فطوى (السنجق) السلطانى – أى العلم – واختفى جهة طره) .

ودخل العثمانيون مدينة القاهرة فى اليوم الثانى للمعركة وخطب باسم السلطان سليم شاه على منابر المساجد ، إلا أن طومان باى لم يستسلم وراح ينظم الصفوف وانضمت إليه جموع حاشدة من فتيان القاهرة وشجعانها ، واستمرت المواجهات بين طومان باى والعثمانيين فترة طويلة شهدت فيها

شوارع القاهرة وأحيائها القديمة معارك وهجمات المقاومة الشعبية ضد العثمانيين ، وفى واحدة من هجمات المقاومة الشعبية والتى جرت فى بولاق ، كاد أن يقتل سليم الأول بعد أن أحاط طومان ورجاله بمعسكره وأخذوا يرجمونه بالنيران والحجارة ، وفى مرحلة من مراحل المقاومة ضد الغزاة ، اتخذ طومان باى من جامع شيخون مركزاً للمقاومة الشعبية ، وهذا الجامع يقع فى شارع شيخون ، وكان يسمى قديماً شارع (الصليبة) وعرفت المنطقة من حوله بمنطقة الصليبة ، وقد دارت فى هذه المنطقة معارك عنيفة بين قوات المماليك والعثمانيين استبسل فيها طومان باى ثم هرب وانسحب بعد أن تأكد من أن ميزان القوة لم يعد فى صالحه .

وبعد هروبه أحرق العثمانيين جامع شيخون والبيوت من حوله ، وقتلوا أكثر من عشرة آلاف من العامة ، ورغم بشاعة هذا الانتقام إلا ان المقاومة لم تنته ، واستمر طومان يحشد الرجال لصد الغزاة ، إلى أن كانت المعركة الأخيرة التى وقعت عند منطقة وردان (إمبابة الآن) وأحرز فيها عسكر مصر انتصارات فى البداية ، إلا أن العثمانيين قد انتصروا فى النهاية لتفوقهم فى العدد والعتاد ، وكانت تلك هى المعركة الفاصلة التى انكسرت بعدها المقاومة ، وأخذ طومان باى يبحث عن مكان يلجأ إليه حتى لا يقع فى أيدى غريمه السلطان سليم الأول ، ولجأ إلى صديقه شيخ العربان (حسن بن مرعى) والذى كان قد أخرجه من السجن أيام السلطان الغورى ، ولكن شيخ العربان وشى به ... وأبلغ عنه السلطان سليم ! الذى أعجبته شجاعته وصلابته خاصة فى حواره الأخير معه ، وبعد أن احتجزه لمدة عشر أيام أمر بشنقه .

وفى ٢٢ أبريل ١٥١٧ خرج موكب السلطان الأسير طومان باى مقيداً إلى فرسه وهو يلقى التحية بثبات على أبناء شعبه ، وعند باب زويلة توقف ركب السلطان الأسير ، وكان فى حراسة ٤٠٠ جندى ، وتطلع طومان باى إلى

(قبو البوابة) فرأى حبلاً يتدلى ، فأدرك أن نهايته قد حانـت ... فترجـل ... وتقدم نحو الباب بخطى ثابتة ... ثم توقف والتفت إلى الناس الذين احتشدوا من حول باب زويلة ... وتطلع إليهم طويلاً ... وطلب من الجميع أن يقـرأوا لـه الفاتحة ثلاث مرات ... وقرأها معه الناس وهم يبكونه حباً وتقـديراً ، وحـين مسح وجهه بكفيه ، نظر إلى جلاده وطلب منه أن ينفذ مهمته ، وقبل أن حبـل المشنقة قد انقطع به مرتين ، ثم شنقوه مكشوف الرأس ، وكان عمره نحـو ٤٤ عاماً ، وظل جسده معلقاً على باب زويلة عدة أيام ، وانتهت بذلك دولة المماليك بمصر وبلاد الشام والحجاز ، وصار طومان باى رمزاً للمقاومة والشجاعة حتى فى أحلك الأوقات .

ملك المعادن

فى المائة عام التى تلت اكتشاف كولمبس لأمريكا غزا الأسبان المكسيك كما غزوا جزءاً كبيراً آخر من أمريكا الجنوبية ، وكان أكثر اهتمامهم بالذهب الذى وجدوه فاستولوا على مخازنه الهائلة التى كان يحتفظ بها الحكام الهنود هناك ، ولكنهم لم يقنعوا وظلوا يطلبون المزيد ... ومع الذهب وجدوا كتلاً صغيرة من معدن رمادى ، ولكنهم لم يعبئوا بها ولم يحافظوا عليها ، إذ لم يفطنوا حينذاك إلى أن المعدن الموجود بتلك الكتل الصغيرة أندر من الذهب أو أنه سيصبح يوماً ما أغلى منه بكثير .

وظل ذلك المعدن الرمادى دون تسمية طوال مائتى عام تقريباً إلى أن جئ به إلى أوربا وسمى " بالبلاتين " وهى كلمة من أصل أسبانى معناها "الفضة الصغيرة" .

واليوم يسمى البلاتين " ملك المعادن " فهو سهل التشغيل ولا يصدأ ، ويتحمل أشد الحرارة ولا يتآكل بأى حمض ، وهو صلب جداً يمكن صنعه فى صورة أسلاك رفيعة بدرجة مدهشة .

وتصنع من البلاتين حلى كثيرة ، لكن الجانب الأكبر من البلاتين المستخرج من المناجم لا تصنع منه حلى ، وإنما يدخل فى صنع أجهزة الراديو

والتليفزيون والأشعة السينية وفيشات الشرارات فـــى الطـــائرات والمصـــابيح الشمسية وبواتق صهر الزجاج والصـــخور وآلات غـــزل النـــايلون والحريـــر الصناعى وخيوط الزجاج ، كما يستخدمه أطباء الأسنان فـــى تثبيـــت الأســـنان الصناعية ، ويستخدمه الأطباء فى ربط العظام المكسورة بعضها ببعض.

وهو متوافر فى جنوب أفريقيا وبعض بلاد أمريكا الجنوبيـــة ، ولكـــن أغنى مصادره كندا والاتحاد السوفيتى.

أكبر تجارة رقيق عرفها التاريخ

كانت أكبر تجارة رقيق عرفها التاريخ بين أفريقيا وأمريكا فقد بلغ حجمها أكثر من عشرين مليون أفريقى على مدى أربعة قرون ... وأكثر من اشتغل بهذه التجارة كانوا من الإنجليز فقد كانوا يشترون الرقيق من رؤساء القبائل مقابل كميات من المنسوجات والخمر والبنادق فقد كانت تجارة الرقيق شائعة فى أفريقيا ... إلى جانب أن الإنجليز كانوا يخطفون الزنوج إذا كانوا صغاراً لا يغرط فيهم آباؤهم ... ولكن الإنجليز لم يكونوا أول الأوربيين فى تجارة الرقيق فقد سبقهم إلى هذا البرتغاليون والأسبان والهولنديون عندما كانت بلادهم هى القوى البحرية الأولى فى أوربا ... وقد بدأت أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى تستوردان الرقيق قبل أمريكا الشمالية لأن الأوربيين استقروا وانتشروا فى الأجزاء الجنوبية من العالم الجديد أولاً .

وفى عام ١٦١٩ م جاءت أول مجموعة من الرقيق الأفريقيين إلى أمريكا الشمالية على ظهر سفينة هولندية ، وكان قد نفذ ما فيها من طعام خلال الرحلة الطويلة التى استغرقت أربعة شهور فى المحيط قبل أن تصل إلى أمريكا فاشترت ما يلزمها من الطعام ودفعت الثمن عشرين رجلاً وامرأة من حمولتها من الرقيق.

ويرجع السبب فى تجارة الرقيق إلى أن الأوربيين بعد أن قهروا الهنود الحمر وأجلوهم عن بلادهم وأخذوا منهم جموعاً من الأسرى سخروهم فى زراعة الأرض وفى أعمال المناجم ، ولم تكن هذه مهمتهم فهلك منهم عدد كبير كما أهلكتهم أيضاً الأمراض الوافدة ، فلم تكن بأجسامهم مناعة ضد أمراض الغزاة ففتكت بهم مثل الوباء ، مما دفع الأسبان والبرتغاليون إلى أن يستبدلوا الهنود الحمر برقيق من أفريقيا ، ومن هنا بدأت تجارة الرقيق واستمرت سنوات طويلة.

وفى عام ١٨٦١م جاءت معركة الانتخابات لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ... وكان محورها مشكلة الرق ، وتقدم ابراهام لنكولن المحامى الشاب الذى كان اسمه يتردد على ألسنة الناس منذ عدة سنوات أمضاها يخطب ويكتب داعياً إلى إلغاء الرق وتحرير الرقيق ، وكانت دعوته تقوم أساساً على أن مشكلة الرق فضلاً عن أنها تتافى الإنسانية فإنها قد قسمت الشعب الأمريكى إلى قسمين ، وانتخب لنكولن وتولى الرئاسة فى عام ١٨٦١م ، واعتبرت ولايات الجنوب انتخابه تحدياً لها لأنها كانت تؤيد تجارة الرقيق ، ولم تلبث أن أعلنت انفصالها عن الولايات الأمريكية ، وأخذت كل ولاية تقيم لنفسها حكومة مستقلة ثم كونت فيما بينها " الولايات المتحدة المتحالفة " وأنزل العلم الأمريكى من فوق الولايات ورفع مكانه علم الولايات المتحالفة.

وأشرفت أمريكا على حرب أهلية سرعان ما نشبت بين الشمال والجنوب واستمرت أربع سنوات (١٨٦١ – ١٨٦٥م) وأعلن ابراهام لنكولن وسط هذه الحرب الأهلية إلغاء الرق ابتداء من يناير ١٨٦٣م ، وعرض القرار على الكونجرس فظل أعضاؤه يتجادلون ويراوغون ثلاث سنوات حتى صدر قانون إلغاء الرق فى عام ١٨٦٥م ، وهو ما يعرف بالتعديل الثالث عشر للدستور الأمريكى .

وانتقل الزنوج بحكم الدستور من العبودية إلى الحرية ، ولكن إلغاء الرق ترك مرارة وحقداً فى نفوس أهل الجنوب جميعاً ... فاغتيل لنكولن فى ١٤ أبريل ١٨٦٥م حينما كان يشاهد مع زوجته إحدى المسرحيات ... وبعد أن ألقى خطبته الشهيرة عن الحرية التى يحفظها التلاميذ فى مدارسهم ويستشهد بها الكتاب فيما يكتبون عن الحرية.

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن الرق قد عرف منذ أقدم عصور التاريخ ، وعرفته كثير من دول العالم ، واستمرت تجارة الرقيق فى بريطانيا على سبيل المثال حتى ألغيت عام ١٨٣٣م ، ثم ألغيت فى كثير من بلاد أوربا بعد هذا التاريخ ... بينما ألغى فى البرازيل عام ١٨٨٨م ، كما ألغى فى نيبال عام ١٩٢٦م.

أول من شاهد جبال القمر

جاليليو ... ذلك أنه بمجرد أن سمع عن اختراع يسمى التليسكوب أو المنظار حتى قام بصنع عدة مناظير لنفسه وتوصل عن طريقها إلى اكتشافات كثيرة ، فقد كان أول من شاهد الجبال على سطح القمر ، والبقع الشمسية على وجه الشمس ، كما اكتشف عدداً من الأجرام السماوية التى كانت مجهولة كالزهرة والمشترى ، وكشف أقماراً لكوكب المشترى تدور حوله ، كما توصل إلى أن كوكب الزهرة يغير من شكله .

وكان جاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢م) والذى سمى فيما بعد " أبو العلم " قد عاش فى إيطاليا منذ أكثر من ٣٠٠ سنة ، وفى الوقت الذى عاش فيه كان معظم الناس يأخذون أفكارهم عن العلم من كتب أعدت منذ قرون مضت ، لكن جاليليو حاول أن يكتشف الأشياء بنفسه ، وأخذ فى تجاربه عندما بلغ السابعة عشرة من عمره، فقد كان يقف يوماً فى كنيسة (بيزا) وهى المدينة التى عاش فيها ، وقد تدلى من فوق رأسه مصباح معلق بسلسلة يتأرجح من جهة لأخرى ، ولاحظ أن المصباح يتحرك أحياناً لمسافة بعيدة وأحياناً لمسافة قريبة ولكنه يأخذ نفس المدة فى الحركة الطويلة والقصيرة ، وقد حسب الزمن بعدد نبضات قلبه ، ومن فكرة المصباح درس جاليليو البندول ، لأن المصباح الذى يتدلى من سلسلة

يمثل البندول تماماً ، وقد مهدت هذه الدراسة لاختراع أولى ساعات الحائط.

وعندما كان جاليليو يدرس الرياضيات فى جامعة بيزا قام بواحدة من أشهر تجاربه ، إذ أسقط كرتين مختلفتين فى وزنهما من أعلى مكان فى برج بيزا المائل ، وقد أثار دهشة معظم الناس إذ صدمت الكرتان الأرض فى وقت واحد ، وكانت الفكرة القديمة هى أن المادة الثقيلة تسقط أسرع من غيرها.

ولكن أهم أبحاث جاليليو هى تلك التى برهن فيها بشكل حاسم ونهائى على صدق العالم الكبير (كوبرنيكس) الذى قال إن الأرض هى التى تدور حول الشمس وليس العكس كما كان شائعاً ... وأحدث هذا الإعلان ضجة هائلة ، وكان جاليليو على عكس كوبرنيكس يمتلك أسلوباً جدلياً وقدرة على تبسيط الأمور العلمية وبالتالى وصل بحثه إلى كافة الناس.

ولذلك اصطدم جاليليو بالكنيسة وحوكم بتهمة الإلحاد والخروج عما هو معروف ، واقتيد وهو فى شيخوخته إلى محكمة التفتيش ، وكان عليه إما أن يعلن أنه مخطئاً ويتوب عن آرائه وإما أن يواجه أبشع أنواع التعذيب ... ولم يجد مفراً من أن يعلن فى المحكمة أنه مذنب وأنه مخطئ وأن اكتشافاته غير صحيحة ومنافية للإيمان ... وكانت المحكمة تعلم جيداً أنه غير صادق فيما يقول ، ولذلك لم تحكم ببراءته وفى نفس الوقت لم يحكم عليه بالتعذيب بسبب اعترافه ، وإنما صدر حكم بتحديد إقامته فى منزل فى قرية بعيدة عن روما ، وأن يظل به مدى الحياة ، وعاش فى الإقامة الجبرية ثمانى سنوات فقد خلالها بصره ... ثم مات دون أن يرى نور الحرية مرة أخرى.

وتقول الروايات إنه بعد صدور ذلك الحكم عليه ، خرج من قاعة المحكمة وهو يتمتم للجندى القابض عليه قائلاً : ومع ذلك ... فإن الأرض تدور ...!!

والغريب فى الأمر أن هذا العالم الكبير لم يتم رفع كتبه من قائمة الكتب الممنوعة من الكنيسة إلا عام ١٨٣٥م ، ولم يرد له اعتبار من الكنيسة إلا عـــام ١٩٩٢م بعد أن قامت لجنة بأمر البابا بإعادة النظر فى قضية جاليليو التى شكلت أمراً محرجاً للكنيسة ، وقضت فى دراستها عشر سنوات مـــن عـــام ١٩٨٢م ، وانتهت إلى الاعتراف بفلسفة وفكر جاليليو.

الشهب والنيازك

الشهب قطع صلبة صغيرة من بقايا المذنبات ، تسبح ملايين الملايين منها حول الشمس وعندما تقترب الأرض من هذه الشهب تشدها قوى الجاذبية الأرضية فتهوى فى اتجاه الأرض ، وبمجرد أن تخترق الغلاف الغازى تحترق وتتحول إلى غبار هو الذى نسميه الغبار الكونى ولما كانت هذه الشهب تحدث لمعاناً شديداً قبل احتراقها ، إذ تبدو من بعيد وكأنها نجوم هاوية فقد ظنها الناس بقايا نجم كبير تحطم وأخذ يتساقط على سطح الأرض.

وتدور الشهب فى مجموعات كبيرة فى الفضاء على شكل عواصف هائلة ونراها تهوى إلينا بأعداد كبيرة إذا اخترقت كوكبنا واحدة من تلك العواصف ، إذ يحدث حينئذ أن تهوى تلك الشهب بفعل الجاذبية الأرضية وتحترق لدى ملامستها للغلاف الغازى للأرض ، وقد حيرت ظاهرة الشهب الإنسان منذ آلاف السنين فقد ورد فى بردية مصرية قديمة أن النجوم أخذت تتقافز ذات ليلة ، والواقع أن النجوم الحقيقية لم تتقافز كما جاء فى البردية وإنما الذى حدث أن الأرض اخترقت مجال عاصفة من عواصف الشهب ، أما الرومان فكانوا يعتقدون أن سقوط الشهب يدل على غضب الآلهة عليهم.

وتسقط الشهب على الأرض بالملايين كل عام ، وينتج عن الغبار

المترسب منها زيادة طفيفة جداً فى حجم الأرض ، ومن حسن الحظ أنها تحترق جميعها وتتحول إلى غبار قبل أن تصل إلينا ، إذ لو قدر أن سقطت على سطح الأرض قبل احتراقها لحدث الكثير من الحوادث والتخريب ، ومع ذلك فإن بعض هذه الشهب تكون كبيرة الحجم ولا تحترق كلها فى أثناء اختراق الغلاف الغازى للأرض .

وإذا اصطدمت بسطح الأرض واستقرت عليه سميت بالنيازك ومن أمثلتها عدد من النيازك سقط فى غابة تقع شمال الاتحاد السوفيتى وأباد أشجار الغابة فى دائرة قطرها بضعة أميال ، وفى أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية توجد حفرة كبيرة على هيئة فجوة عرضها قرابة الميل يعتقد العلماء أنها نشأت بسبب نيزك سقط على هذه المنطقة وأحدث الحفرة .

وليس لدينا ما يدل على أن هذه النيازك قد تسببت فى وفاة أحد من البشر وإن كانت التسجيلات الصينية القديمة قد جاء فيها ما يفيد أن نيزكاً اصطدم بسطح الأرض وتسبب فى وفاة عشرة أشخاص ، ويوجد فى المتاحف عدد كبير من النيازك التى جمعها الإنسان أكبرها النيزك الذى عثر عليه الرحالة (بيرى) فوق الجليد فى طريقه لارتياد القطب الشمالى ، ويبلغ وزن ذلك النيزك ($\frac{٥}{٦}$) من الطن.

وتتكون بعض النيازك من الصخور والبعض الآخر من الحديد ، ويعتقد أنها كانت أول مصدر للحديد الذى استخدمه الإنسان.

ويعتقد العلماء أن الشهب التى تسبح فى مجموعات كبيرة هى مذنبات – المذنب هو كوكب محطم – تدور حول الشمس فى مسارات تشبه مسارات الكواكب وهى تنجذب إلى غلافنا الغازى عندما تنحرف عن مسارها وتصطدم به.